# أثر التصوف على الحياة الروحية فى الإسلام

## The impact of Sufism on the spiritual life in Islam

محمود محمد عبدالفتـاح الطـلي

**ملخص البحث :**

الحمد لله الذى علم الإنسان مالم يعلم . القائل فى كتابه العزيز : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } ( العنكبوت :٦٩) ، والقائل أيضاً : { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا } ( الأنفال : ٢٩) . والصلاة والسلام على رسول الله القائل : {الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك }. وبعد : إن علم التصوف كما يراه كثير من الباحثين يمثل الحياة الروحية في الإسلام ، ويجسد حقيقة التدين الصحيح الذى يحرك الإنسان في دائرة الفعل المسئول ، فلا حقد ، ولا عداء ، ولا حسد ، ولا بغضاء ، ولا تطاول على حقوق المخلوقين ، وهو الجسر الذى يعين الإنسان على التعايش مع أخيه الإنسان ، ولذلك وضع له أصحابه قواعده وقوانينه ومنهجه وموضوعاته ببداية الإسلام إستنتاجاً من القرآن الكريم وسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم واستخلاصاً من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه من بعده حيث يرى هؤلاء الصوفية أن الإسلام هو الذى أرسى قواعد هذا العلم ، فعلم التصوف ليس غريباً عن الإسلام ، وإنما هو من صميم الإسلام وأحد علومه الأصلية.

وعندما نتكلم عن الحياة الروحية في الإسلام فالذي يقصد بهذا العنوان هو إعطاء صورة وافية عن الحياة الروحية لرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذلك الحياة الروحية لأصحابه من بعده رضى الله عنهم أجمعين حيث كانوا مثلاً أعلى وقدوة في زهدهم وتقشفهم وعبادتهم ، كما رسموا منهج الحياة للمسلم في دينه ودنيا ، وربطوا بين الحياة الدنيوية والحياة الآخروية بنظام استقوه من وحي الله قرآناً وسنة وأحاديث قدسية .

فهذا بحث بعنوان ( **أثر التصوف على الحياة الروحية فى الإسلام** ) وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يشتمل على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع .

أما المقدمة : فقد اشتملت على أسباب اختيار البحث ، وأهمية هذا البحث ، والهدف من الدراسة ، والمنهج المستخدم .

وأما التمهيد : فقد تحدثت فيه عن أهم التعريفات الواردة للبحث .

وأما المباحث فقد جاءت مرتبة على النحو التالي :

المبحث الأول : أثر التصوف على الجانب الروحي فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثاني : أثر التصوف على الجانب الروحي فى حياة الصحابة رضى الله عنهم اجمعين .

واما الخاتمة : فقد تضمنت أهم نتائج البحث .

**أولاً : أسباب اختيار البحث :**

لقد كان من بين أهم أسباب اختياري لهذا البحث دوافع وأسباب نجملها فيما يلى :

**١ـ** أن دراسة التصوف بشكل عام من الدراسات المهمة والضرورية فى مجال الفكر الإسلامي ، ولا ريب فى ذلك فالتصوف يرتقى إلى أعلى مراتب الفكر الإنساني وأرقاها ، فالمتصوف عادة لا يحمل فكراً عاديا كباقي الناس ، ولا ينظر الى الأشياء المادية نظرة عادية . ولذلك كان للمتصوفة أثراً كبيراً فى الحياة الإسلامية ، بل وتعدى ذلك ليشمل الحياة الإنسانية عموماً من خلال أفكار واسهامات اولئك المتصوفة .

**٢ـ** أن هذا العصر الذى اجتاحت فيه المادة على كل شيء ، وأصبحت فيه الحياة تقوم تقويماً مادياً ضاعت فى ثناياه المثل الروحية ، ولا شك أننا الان فى وقت أحوج إلى هذه الحياة الروحية ومثلها ومعاييرها لكى تعيننا على مواجهة الحياة المادية .

٣- حاجة المجتمع إلى معرفة الجانب الروحي وتطبيقه فى عصر طغت عليه المادة والآلية .

٤- إظهار أن كل ما جاء فى المنهج الصوفي من تعاليم إيمانية تعمل على الارتقاء بالنفس البشرية وتقوى الحياة الروحية .

**ثانياً - أهمية موضوع البحث :**

تتمثل أهمية هذا البحث فى كونه يتناول :

١- الحياة الروحية في الإسلام .

٢- أثر التصوف على الحياة الروحية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

٣_ بيان الحياة الروحية في الإسلام .

٤- بيان ما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

**ثالثاً - أهداف البحث :**

سوف تهدف الدراسة إلى :

١- إبراز مكانة علم التصوف وأهميته ومدى حاجة الناس إليه .

٢- بيان أثر التصوف على الجانب الروحي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

٣- بيان أثر التصوف على الجانب الروحي في حياة الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .

٤- المساهمة في بيان ثمرة التصوف كنموذج للسمو الأخلاقي والمعرفي.

٥_بيان أن ما جاء في التصوف من تعاليم الإسلام .

**رابعاً- المنهج المستخدم :**

من المعلوم أن لكل باحث منهج يسير عليه ، كما أن لكل موضوع يستلزم اتخاذ منهج مناسب وملائم له ، وبما أن موضوعنا يمس طرفين : (التصوف - الإسلام)

مما يحدوا بنا أن نستخدم المنهج التحليلي المقارن مع توضيح منهجين مضمرين بالموضوع وهما : المنهج النقدي والتاريخي .

## التمهيد

## التعريف بأهم المصطلحات الواردة فى عنوان البحث

**أولاً : مفهوم الجانب الروحي :**

عندما نطلق مفهوم الجانب الروحي فى حياة الإنسان لا يقصد به كثرة الصلاة والصيام والتعبد وإن كان لكثرة التعبد علاقة وثيقة لبناء الجانب الروحي فى الإنسان ، ولا يقصد بالجانب الروحي حسن التعامل مع الإنسان والأخلاق الحسنة كالشجاعة ، والعفة ، والكرم ، وإن كان للأخلاق صلة وثيقة بالجانب الروحي ، وإنما يقصد بالجانب الروحي _ والذى يعتبر جوهرها ومضمونها _ هي العلاقة الداخلية للمؤمن بالله تعالى وتعلقه النفسي والعاطفي به تعالى من حيث الإيمان والحب والإخلاص ، وما يتعلق بهذا المعاني من خوف ورجاء وتواضع وغير ذلك ([1]) .

ولذا يعرف الشيخ محمد مصطفى حلمي الحياة الروحية بقوله : هي الحياة التى يخضع فيها الإنسان لألوان مختلفة من مجاهدة النفس ، وتصفية القلب وتنقيته من أدران الشهوى والهوى وقطع العلائق المادية التى تفسد علاقة الإنسان بربه ، وصلته بأشباهه ثم هي بعد هذا كله تأمل فى الكون ، ومشاهدة لمبدع هذا الكون مشاهدة سبيلها الفناء عن النفس البشرية ، وقوامها البقاء فى الذات الإلهية ، والاتحاد بالحقيقة العلية والتحقق بمعرفتها معرفة يقينية لا يأتيها الشك من بين يديها ولا من خلفها ([2]) .

**نشأة الحياة الروحية :**

وقد نشأت الحياة الروحية فى الإسلام من حياة التقشف والزهد والتقوى والورع وغير ذلك من مظاهر الانصراف عن الدنيا ، والإقبال على الدين بين المسلمين فى حياتهم الأولى إبان فجر الإسلام ([3]) ، ونشأت من اقتداء المسلمين فى جل حياتهم العامة والخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم بتقليده فى كل الأمور حتى

---

[1] انظر نظرات حول الإعداد الروحي الشهيد الشيخ حسن معن ، ص ٥٨_ بدون .

[2] الحياة الروحية فى الإسلام د/ محمد مصطفى حلمي ص ٩ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م .

[3] مرجع سابق ص ٩ .

أنهم كانوا يذهبون إلى أزواجه من أمهات المؤمنين رضى الله عنهم وأرضاهم ليسألوهم عن حياته الخاصة وعن أحواله التى لا يشاهدونها ليمكنهم من تطبيق ذلك كله على أنفسهم .

ثم نشأت أيضاً تلك الحياة من خلال حياة كبار الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وأفعالهم وأقوالهم التى كانت مثلاً أعلى فى الزهد والتقوى والورع والتقشف ، وكيف لا يكون كذلك وهم تلاميذ مدرسة النبوة الأولى [٤] .

**ضرورة الحياة الروحية للإنسان :**

ويمكن تحديد ضرورة الحياة الروحية للحياة الإنسانية من خلال النواحي الآتية :

**أولاً** : أنها حاجة روحية كما أن الحياة المادية حاجة جسمية ، وكما أن الجسم إذا حرم من حاجته فلا بد وأن يصاب بأمراض وأضرار تضر به ، فكذلك الروح إذا حرمت من حاجتها تصاب بأمراض تضر بها ، وإن كنا هناك فرق بين هذين النوعين وطريقة الإصابة بهما ، إلا أن إصابة الإنسان بالأمراض الجسمية نتيجة الحرمان من الغذاء المادي يكون سريعا ، وتقدر درجة الإصابة بدرجة الحرمان ومدة هذا الحرمان ، أما بالنسبة للأمراض الروحية فإن الإنسان قد لا يشعر سريعا بضرر الحرمان كما لا يصاب بهذه الأمراض بعد الحرمان مباشرة بل قد يظهر أثر ذلك بعد مدة طويلة وقد لا يشعر المريض أن أثر ذلك هو الحرمان من الحياة الروحية وهذا ما ظهر بصورة جلية فى المجتمعات التى توغلت فى الحياة المادية ونسيت الحياة الروحية أو أهملتها تماماً [٥] .

ويقول سير ريتشر لفنجستون وكيل جامعة أكسفورد : إننا نعيش جميعاً فى عالمين العالم المادي ، والعالم الروحي . والأخير هو عالم القيم ولو أننا ضحينا على العلوم أو الاقتصاديات أو الاجتماعيات أو أي شىء

[٤] دراسات فى التصوف والأخلاق ، د/ إبراهيم محمد إبراهيم ص ٨، ٩، بدون .

[٥] انظر : فلسفة الحياة الروحية منابعها ومشاربها ونشأتها ونشأة التصوف والطرق الصوفية ، د/ مقداد يالجن ، ص ٥١ ، ط دار الشروق ، ط أولى ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م .

أخر لكان ذلك هو هلاكنا ، مثلنا فى ذلك مثل من يحذف الفيتامينات من طعامه ومع ذلك فإننا لا نولى هذه العناية الفائقة ([٦]).

ولهذا نجد أن الله عز وجل يبين لنا أن الذىُ يهمل الحياة الروحية أو يُعرض عنها فإنه يعيش حياة شقية فقال {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا} ([٧]) ([٨]) .

**ثانياً** : أن الحياة الروحية تهدف إلى صعود الإنسان بروحه واتصاله بالله تعالى وهذا لا يمكن أن يتم إلا إذا ابتعد الإنسان عن الرذائل وتخلى عنها ثم تكامله بالفضائل للناس خالصة لوجه تعالى بقدر ما يقترب من الله ويزداد ارتباطه به ، إذ أن الناس بقدر خيراتهم تكون لهم منزلة عند الله تعالى ، وخيرة الناس تقاس بمدى زوال روح الشر عن نفسه وعمله ، وبقدر ما يقدم للناس من الأعمال الخيرية ، لهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم { خير الناس أنفعهم للناس } ([٩]) ، وذلك يكون بالتقدم الأخلاقي ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم { إن من خيركم أحسنكم أخلاقا } ([١٠]).

وتعتبر الحياة الروحية أكتر عامل دافع للتقدم الأخلاقي وأكبر وسيلة للتقدم الاجتماعي والحضاري ، وذلك لأن الذى يعوق التقدم الاجتماعي والحضاري هو ازدياد الجرائم المختلفة وازدياد الناس شراً مما يؤدى إلى أن يفتك بعضهم بعضاً وأن يمزق الإنسان أخاه الإنسان ، وأن يعمل لسلب خيرات الناس ، وممتلكاتهم ، وهذا الانحلال الأخلاقي من أكبر عوامل الإعاقة عند الحياة الاجتماعية وتقدمها ([١١]).

إن الحياة الروحية الحقيقية لا تكون بمجرد الانقطاع للعبادات كواجبات تقليدية ثم ترك المجتمع والانعزال عنهم وقضاء الأوقات بالأوراد والذكر فى زوايا الطرق الصوفية ، بل إن الحياة الروحية الحقيقة عامل محرك

---

[٦] التربية لعالم حائر ،سير ريتشر لفنجستون ، ترجمة / وديع الضبع .
نقلا عن المرجع السابق ص ٥١، ٥٢ .

[٧] سورة طه الآية : ١٢٤ .

[٨] فلسفة الحياة الرحية ، د/مقداد يالجن ، ص ٥٦ .

[٩] أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان (ج١٣ رقم ٧٢٥٢) .

[١٠] أخرجه البخاري فى صحيحه :٨٧/٩ ،ح ٣٥٥٩ وفى ٩/ ٣١٤ ، ح ٣٧٥٩ تحقيق محمد زهير ، ط دار طوق النجاة ،ط الأولى ١٤٢٢ هـ .

[١١] فلسفة الحياة الروحية ، د/ مقداد يالجن ، ص ٦٠ ، ٦١ .

بذاته ودافع قوى إلى عمل تلك الخيرات ، لأن التقرب إلى الله عز وجل يكون من ناحيتين معا ، ناحية عبادة الله وناحية خدمه عبادة بعمل الخيرات لهم ، ومع ذلك فإذا بحث كل واحد بمقتضى هذه الحياة الروحية من وسائل تقديم الخيرات والمشروعات المختلفة الخيرة فى حق الناس ، وسارعوا فى ذلك واستبقوا فيها ، فما من شك أن الحياة الاجتماعية والاقتصادية تتقدم بسرعة مذهلة لأن هذه الروح تدفعهم إلى العمل فى الميادين المختلفة ، ليعملوا الخيرات الكثيرة ([١٢]).

**ثالثاً** : وقاية الإنسان من الأمراض التى تؤدى إلى إهمال الحياة الروحية .

ويمكن تقسيمها إلى قسمين :

**الأول** : الأمراض المباشرة ، وذلك مثل الشعور بالضيق والقلق والاضطراب والشعور بالضعف أمام المسؤوليات ، والانهيار أمام المشكلات وقد ينتهى ذلك بالانتحار ، وقد وجدنا كثيراً من المنتحرين انتحروا لكثير من هذه الأسباب .

**والقسم الثاني** : من الأمراض التى تؤدى إلى انعدام الحياة الروحية ، وهى بدورها قسمان :

**القسم الأول** : الأمراض الجسمية التى تتأثر بالحالات النفسية المرضية السابقة .

**والثاني** : الجرائم التى يرتكبها والرذائل الأخلاقية الذين انعدمت عندهم الحياة الروحية ثم تؤدى هذه الامراض الأخلاقية إلى الأمراض الجسمية ([١٣]) .

**ثانياً : معنى التصوف :**

لقد تعددت الآراء والأقوال فى معنى التصوف إلى أقوال ومعانٍ شتى ، منها ما قاله أبو محمد الحريري عن التصوف بأنه : " الدخول فى كل خلق سنى والخروج من كل خلق دني " ([١٤]) .

وقال معروف الكرخي : " التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق " .

وقال الكتاني : " التصوف خلق فمن زاد عليك فى الخلق زاد عليك فى الصفاء " ([١٥]) .

---

[١٢] مرجع سابق ص ٦١، ٦٢ .

[١٣] مرجع سابق ص ٥٦ .

[١٤] اللمع لأبى نصر سراج الطوسي، ص ٤٥ ، تحقيق :د/ عبدالحليم محمود ، د/ طه عبدالباقى سرور، ط دار الكتب الحديثة بمصر ١٣٨٠ م .

ويتحدث الشبلي عن التصوف فيقول : زهد الصوفي تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء ،وليس الصوفي من استأنس بالذكر لكنه من استأنس بالمذكور ، ووفاء الصوفي هو الإخلاص بالنطق واستغراق السرائر بالصدق ، وأما قلوب أهل الحق فإنها طائرة إليه بأجنحة المعرفة ومستبشرة بمولاة المحبة ([١٦]) .

وسئل عبدالواحد بن يزيد : " من الصوفية عندك ؟ قال : القائمون بعقولهم على فهم السنة ، والعاكفون عليها بقلوبهم ، والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم ([١٧]).

وقال أبو عثمان المغربي : " التصوف قطع العلائق ، وفض الخلائق واتصال الحقائق " ([١٨]) .

**المبحث الأول : أثر التصوف على الجانب الروحي فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم .**

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إماماً للمسلمين فى دينهم ودنياهم ، وضرب المثل الأعلى والقدوة الحسنة فى الزهد والعبادة ، والنسك والتقشف تطبيقاً لمنهج الإسلام الذى رسمه المولى سبحانه وتعالى فى كتابه الحكيم .

ولما كانت طبيعة البحث لا تستطيع استيفاء كل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذا المجال فإنني سأكتفى ببعض الأقوال والأحوال التى تعطينا صورة واضحة عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الروحية ومنهجه فى هذه الحياة التى نحن بصددها فى هذه الدراسة ، وحسبنا أن ننظر فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم التى كان يقضيها قبل البعثة متعبداً فى غار حراء ، وفيما كان يفعله صلى الله عليه وسلم من مجاهدة نفسه وعزلة عن الناس ، وأن نقارن بين هذه الحياة وبين حياة الزهاد والعباد والصوفية ، ليتبين لنا مدى التوافق والشبه بين الحياتين ، ونتأكد من أن تعبد النبي صلى الله عليه وسلم فى غار حراء ، إنما هو البذرة الأولى التى نبتت منها الزهاد والعباد والصوفية ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث مرة كل عام كلما أقبل شهر رمضان ، يقيم طوال هذا الشهر مزودا بالقليل من الزاد ، متأملاً بقلبه فى كل ما امتلأ به الكون

---

[١٥] الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ، ص ٢١٧ ، تحقيق د/ عبدالحليم محمود ، د/ محمود بن الشريف ، ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

[١٦] عوارف المعارف السهروردي ، تحقيق : د/ عبدالحليم محمود ، د/ محمود الشريف : ٩٦/١ ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

[١٧] عوارف المعارف : ١ / ١٩٤ .

[١٨] في التصوف الإسلامي وتاريخه : ارنيولد .أ . نيكولسون ، ترجمة الدكتور / أبو العلا عفيفي ، ص ٤٠ ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م ، القاهرة .

من آيات صنع الله ، فهناك كان يحيى صلى الله عليه وسلم حياة روحية خالصة لا تشوبها شائبة من شوائب الحياة المادية ، ولا يفسدها شيء من متاع الدنيا وحطامها ، وظل النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الحال متحنثاً ومتعبداً كلما عاوده شهر رمضان ، حتى صفت نفسه، وصقلت مرآة قلبه ، وتهيأ له أن يرى الرؤيا الصادقة وإذ بأنوار الحقيقة تشرق فى أعماق نفسه ، وإذا هو يمعن فى الحق والخير واليقين ، حتى أشرف على الأربعين ، وهنا قد أتيح له من صفاء الروح ونقاء السريرة ما صار معه أهلاً لأن يهبط عليه الملك الذى أخذ يضمه ويرسله مرة ومرة وفى كل مرة يأمره بأن يقرأ ، والنبي صلى الله عليه وسلم يجيبه ما أنا بقارئ ، حتى أمره الملك أخيراً أن يقرأ باسم ربه الذى خلق وكانت قراءته صلى الله عليه وسلم فاتحة عهد جديد فى حياته الروحية ([١٩]) .

فهذه الحياة التى كانت يحياها النبي صلى الله عليه وسلم والتي كانت طريقاً إلى هبوط الملك عليه ، وسبيل قلبه على إشراق نور الوحى عليه ، وإذا نظرنا وتأمنا فى هذه الحياة وما انطوت عليها ، وقارنا بينها وبين حياة الزهاد والعباد الذين ظهروا فى صدر الإسلام ، لرأينا أن التصوف هو الاسم الجامع بين طوائف أولئك وهؤلاء وتعاليمهم وما يعمدون إليه من رياضيات ومجاهدات يرمون بها إلى تنقية النفس وتصفية القلب ، وما يصطنعون فى تهذيب النفوس من محاسبة ومراقبة ، وما ينتهون اليه بهد هذا كله من الهام مشرق ، وما من شك فى أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد بذور الحياة الروحية الصافية الأولى فى التحنث والتعبد فى غار حراء ، والذى كانت ثمرته هذا الوحى المتألق بآيات النبوة البينات ، الفياض بحقائق التوحيد ودقائق العرفان . ([٢٠])

وإذا نظرنا فى حياته صلى الله عليه وسلم بعد البعثة وما كان يتصف صلى الله عليه وسلم من تقشف فى المأكل والملبس ومن عكوف على العبادة والتهجد ، حتى لقد نهاه الله عز وجل عن المبالغة فى ذلك بقوله {

[١٩] الحياة الروحية فى الإسلام ، د/ محمد مصطفي ص ١٨ ، وراجع التصوف والصوفية فى ضوء النصوص الدينية والبراهين العقلية ، د./ محمد شلبي ص ٢٨ ، ٢٩ ، ط الحرية ، ط أولى ٢٠٠٧م .

[٢٠] الحياة الروحية فى الإسلام ، د/ محمد مصطفى ص ١٨ ، ١٩ .

طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى } ([٢١]) . وما كان يقبل عليه من تعبد وتزهد وتقوى وخوف وصبر وغير ذلك وما روى عنه من الأحاديث التى كانت منبعاً ومصدراً لما أخضع الصوفية أنفسهم له من رياضيات ومجاهدات ، وما كان يتقلبون فيه من المنازل والمقامات ، فلقد رويت عنه صلى الله عليه وسلم أقوالاً كثيرة رأى فيها الصوفية أنفسهم مستنداً لهم فى دعوى التصوف ، ونظراً لكثرة هذه الأحاديث والأحوال ، فإني سأقتصر على بعضها بحيث تعطينا صورة واضحة عن هذه الحياة ، وبخاصة ما يتعلق منها بموقفه صلى الله عليه وسلم من الدنيا والمال والولد وكيف كان تعامله صلى الله عليه وسلم مع هذه الأمور فعن أبى أمامه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم { عرض على ربى ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فإذا جعت ضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك } ([٢٢]) ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى جالس فقلت : ما أصابك يا رسول الله : فقال الجوع ، فبكيت ، قال لا تبك يا أبا هريرة فإن شدة الجوع لا تصيب الجائع (يعنى يوم القيامة ) إذا احتسب فى دار الدنيا ([٢٣]) ([٢٤]) .وقال صلى الله عليه سلم : { إذا أراد الله بعبده خيراً فقهه فى الدين وزهده فى الدنيا وبصره بعيوبه } ([٢٥]).

وعنه (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال : يا بن آدم هل رأيت خيراً قط ؟ هل مر بك نعيم قط ؟ فيقول

---

[٢١] سورة طه الآيات : ١_٢ .

[٢٢] أخرجه الترمذي فى سننه : ٤ /٥٧٥ ،ح ٢٣٤٧ ، تحقيق: أحمد محمد شاكر واخرون ، ط مصطفى البابي الحلبى ، مصر ، ط الثانية ١٣٩٥هـ _ ١٩٧٥ م ،وقال : هذا حديث حسن ، والطبراني فى المعجم الكبير للطبراني : ٢٣٠/٧ ، ٧٧٤١ تحقيق / حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، ط مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط الثانية ١٤٠٤ هـ .

[٢٣] أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان : ٧ /٢١٤ .

[٢٤] الوفا بأحوال المصطفى للإمام أبى فرج الجوزي : ٤٧٥/١ وما بعدها ، ط دار الكتب الحديثة ، ط اولى ١٣١٦ هـ ١٩٦٦م ، وراجع الحياة الروحية فى الإسلام ، ص ٢٦ .

[٢٥] أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان :١٢٢/١٣ ، ح ١٠٠١٥٣ عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً .

: لا والله يا رب . ويؤتى بأشد الناس بؤساً فى الدنيا من أهل الجنة ، فيقال له : يا ابن ادم هل رأيت بؤساً قط ؟ فيقول : لا والله ، ما مر بؤسا قط ولا رأيت شدة قط ) ([٢٦]).

وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اللهم لا عيش إلا عيش الأخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة ) ([٢٧]) .

وعن العباس سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله ، وأحبني الناس ، فقال : ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس ) ([٢٨]).

فهذه الأحاديث تعطينا صورة عملية لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان زاهداً فى هذه الحياة الدنيا ، فلم يكن مولعا بزخرفها وما فيها من متاع ومال ، وإنما كان يأخذ من هذه الدنيا بقدر ما يعينه ع الدين وطاعة الله عز وجل ففي كتب السنة صور كثيرة عن حياة التقشف والزهد التى كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقد كان صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي العديدة جائعاً ما فى بطنه شىء ، بل إن أهله كانوا لا يجدون عشاء ، وكان أغلب طعامهم الخبر الشعير ، وفى هذا تقول السيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها : ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض ([٢٩]) .

ومن كانت حياته هكذا لا يمكن أن يكون كانزاً لطعام ، لذا يروى الأمام مسلم أنه صلى الله عليه وسلم مات وما شبع من خبر زيت واحد مرتين ، ويقسم أبو هريرة على هذا فيقول : والذى نفس أبى هريرة بيده ما أشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز وحنطة حتى فارق الدنيا ([٣٠]) .

---

[٢٦] صحيح مسلم : كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤسا في الجنة (٢١٦٢/٤) برقم (٢٨٠٧) .

[٢٧] صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب وهى الخندق (١٤٣١/٣) برقم (١٨٠٥) .

[٢٨] سنن بن ماجه تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي (١٣٧٣/٢) برقم (٤١٠٢) الناشر : دار إحياء الكتب العربية _فيصل عيسى البابي الحلبى _ وهو حديث صحيح .

[٢٩] انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني : ٢٨٢/١ ، كتاب : الرقاق ، باب : كيف كان يعيش النبي صلى الله عليه وسلم ، ح ٦٤٥٤ ، ط دار المعرف ، بيروت .

[٣٠] صحيح مسلم ، كتاب : الزهد : ١٨٠/١٨ وما بعدها .

وإذا نظرنا إلى قناعته صلى الله عليه وسلم فى الملبس ، نجد أنه كان يلبس كتاناً أو صوفاً أو قميصاً ، حيث يذكر المقدسي فى كتابه صفوة التصوف أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس الصوف ، ولذا يقول أنس بن مالك رضي الله عنه وأرضاه : { كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ، ويركب الحمار ، ويلبس الصوف } ([٣١]).

وعن أبى بردة عن أبيه قال : {لو شاهدتنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابتنا السماء لحسبت ريحنا ريح الضأن من لبوسنا الصوف } ([٣٢]) .

وهكذا يمكن القول أن لبس الصوف الخشن الذى استعمله صوفيه المسلمين هو بلا شك تقليداً للرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وأنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه لباس للنبي ، فلم يكن بهم الحاجة إلى تقليد لباس رهبان النصارى فى لباسهم ، بل كل فعلهم كان عن تقليد وتأسى بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ([٣٣]) .

وحسبنا أن نشير هنا إلى ما كان يأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تهجد وعبادة واستغفار فقد روت السيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليالي حتى تتفطر قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : {أفلا أكون عبدا شكورا } ([٣٤]) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه وأرضاه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : {والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم الواحد أكثر من سبعين مرة } ([٣٥]) .

---

[٣١] أخرجه أبو داود الطياليسي فى مسنده : ٦٠٦/٣ ، ح ٢٢٦٢ ، تحقيق د/ محمد حسن التركي ، ط هجر للطباعة والنشر ، ط الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م .

[٣٢] أخرجه البيهقي فى السنن الكبرى :٤١٩/٢ ،ح٣٩٨٧ ،وفى شعب الإيمان ٥ /١٥٣ ح ٦١٥٩ .

[٣٣] صفوة التصوف للمقدسي ، ص ٢٣٢ ، تحقيق / غادة المقدم عدرة ، ط دار المنتخب العربي ، لبنان ، بيروت ،١٩٩٥م .

[٣٤] أخرجه البخاري فى صحيحه : ١٢ / ٩٥ ، ح ٤٨٣٧ ، ومسلم : ٨ /١٤١ ، ح ٧٣٠٤ .

[٣٥] أخرجه البخاري فى صحيحة : ١٦ /٤٢ ، ح ٦٣٠٧ ، والترمذي فى سننه : ٥/ ٣٨٣ ، ح ٣٢٥٩ .

ويقول الدكتور / عبدالرحمن بدوى : بعدما أورد ثلاثة وعشرين حديثاً فى باب زهد النبي صلى الله عليه وسلم فى مأكله وملبسه وفى دنياه كلها ، وهذه الشواهد كلها كفيلة فى إثبات زهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وانه كان يعيش عيشة التقشف فى المأكل والملبس ، وقد استمر على ذلك حتى وفاته ، ولم يكن ذلك عن عدم قدرة فى الحصول على أطيب الطعام وأفخر الثياب لأن ما خص الرسول بالمعارك التى انتصر فيها المسلمون كان كافياً فى تحصيل ما يمكن لو أراد ، وإنما فعل ذلك عن مبدأ فى السلوك خليق وهو مبدأ الزهد فى الدنيا ([٣٦]) .

كذلك يقول الدكتور / محمد مصطفى حلمي : فكل أولئك دلائل حق وشواهد صدق على أن عبادة العباد وزهد الزهاد ، وتصوف الصوفية ، وما ينطوي عليه كله من المنازع الروحية والمعاني الخلقية ، قد وجد مادته الاولى فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال ، وما أثر عنه من الأقوال ([٣٧]) .

[٣٦] تاريخ التصوف الإسلامي د/ عبدالرحمن بدوى ، ص ١١٢ ، ط وكالة المطبوعات بالكويت ، ط الثانية ١٩٧٨ هـ

[٣٧] الحياة الروحية فى الإسلام ص ٢٦ .

**المبحث الثانى :أثر التصوف على الجانب الروحي فى حياة الصحابة رضى الله عنهم أجمعين .**

حينما نتحدث عن أثر التصوف على الجانب الروحي فى حياة الصحابة فإننا نجد أن حياتهم كلها كانت منبعاً ومصدراً استقى منه الصوفية تصوفهم وحياتهم الروحية ، وذلك لأن حياة الصحابة كانت مليئة بالزهد والتقشف والإقبال على الله تعالى ، ولا يستطيع باحث أن يغفل ما انطوت عليه حياة الصحابة وأقوالهم من المنازع الروحية والأذواق القلبية .

وحينما ننظر إلى حياة الصحابة رضى الله عنهم أجمعين نجد أنها كانت صورة من الحياة الروحية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا يقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم فى كل شىء ، لذلك امتدحهم القرآن فى قوله تعالى {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ} ([٣٨]) .

وقد أثنى عليهم القرآن الكريم فى قوله تعالى { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } ([٣٩]) .

وقد بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم مكانتهم علو منزلتهم فى أكثر من حديث فقال صلى الله عليه وسلم { الله الله فى أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد أذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه } ([٤٠]) .

وفى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه } ([٤١]).

فهذه الآيات والأحاديث الشريفة تدل على فضل الصحابة ومكانتهم عند الله عز وجل وعند رسوله ، ولأجل هذا نظر الصوفية إلى الصحابة على أنهم قدوة لهم فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم .

---

[٣٨] سورة التوبة الآية : ١٠٠ .

[٣٩] سورة الأنفال الآية : ٧٤ .

[٤٠] أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب : المناقب ، باب ٥٩ ، ح ٣٨٦١ تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون ، ط دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، والحديث صحيح .

[٤١] أخرجه البخاري فى صحيحه : ٧ /٧١ كتاب : المناقب ، باب : قول النبي صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذا خليلاً ، ح ٣٦٧٣ .

ومما روى عن أحوال الصحابة إجمالاً قول أبى عتبة الحلواني : ألا اخبركم عن حال كان عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولها : لقاء الله تعالى كان احب من الحياة ، والثانية : لا يخافون عدوا قلوا او كثروا ، والثالثة : لم يكونوا يخافون عذراً من الدنيا وكانوا واثقين برزق الله تعالى ([٤٢]) .

ونبدأ بالحديث عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : { اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما } ([٤٣]) .

**أثر التصوف على الجانب الروحي فى حياة وأحوال أبى بكر رضى الله عنه وأرضاه .**

لقد كان أبوبكر الصديق زاهداً حتى ليروي عنه أنه كان يطوى ستة أيام ولا يزيد عن ثوب واحد ، وكان يقول : إذا دخل العبد شيء العجب بشيء من زينة الدنيا مقته الله حتى يفارق تلك الزينة ([٤٤]) ، وكان يقول رضى الله عنه وأرضاه : وجدنا الكرم فى التقوى ، والغنى فى اليقين ، والشرف فى التواضع ([٤٥]) .

وكان يقول رضى الله عنه فى دعائه : { اللهم امنحن الخير الوفير فى الدنيا ورغبني فى التخلص منها } فهو رضى الله عنه وأرضاه يطلب خيراً وفيراً ، ثم يقف من هذا الخير موقف المتعفف عنه ، المنصرف عن الاشتغال به ، وهو بهذه الحالة يظهر معنى الزهد ([٤٦]) .

وتحدث رضى الله عنه وأرضاه عن المعرفة التى تتذوق الروح وأثرها فى الحياة الروحية لمن يتذوقها فقال: من ذاق من خالص المعرفة شيئاً شغله ذلك عما سوى الله ، واستوحش من جميع البشر ([٤٧]) .

وعن زيد بن أرقم أن أبا بكر رضى الله عنه : استسقى فأتى بإناء فيه ماء وعسل ، فلما قربه من فيه بكى وأبكى من حوله ، فسكت وما سكتوا ، ثم عاد فبكى حتى ظنوا ألا يقدروا على مساءلته ، ثم مسح وجهه

---

[٤٢] اللمع للطوسي ص ١٦٧ .

[٤٣] أخرجه الطبراني فى المعجم الأوسط : ٤/ ١٤٠ ،ح ٣٨١٦ ، تحقيق / طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد الحسن بن ابراهيم الحسين ، ط دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥ هـ .

[٤٤] أخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء : ١ / ٣٧ .

[٤٥] إحياء علوم الدين للغزالي : ٣ / ٣٤٣ ، ط دار المعرفة ، بيروت .

[٤٦] الأدب الصوفي فى مفهوم جديد ، ا/ عبدالكريم الخطيب ، ص ٩ وما بعدها ، ط دار الثقافة العربية ١٣٨٤هـ ١٩٦٥ م ، القاهرة .

[٤٧] إحياء علوم الدين للغزالي ٢٩٥/٤ .

وأفاق . فقالوا : ما هاجك على هذا البكاء ؟ قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يدفع عنه شيئاً ويقول : إليك عنى ، إليك عنى ، لم أر معه أحداً فقلت : يا رسول الله أراك تدفع عنك شئياً ولا أرى معك أحد ؟ قال : هذه الدنيا تمثلت فيها ، فقلت لها : إليك عنى فتنحت وقالت : أما والله لئن انفلت منى لا ينفلت من بعدك ([٤٨]) فخشيت أن تكون قد لحقتني فذلك الذى أبكاني . قال الأصفهاني _رحمه الله _ وكان رضى الله عنه لا يفارق الجد ولا يجاوز الحد ، وقد قيل : إن التصوف الجد فى السلوك إلى مالك الملوك ([٤٩]) ،وكان رضى الله عنه وأرضاه يقول : وددت أن أكون خضراء تأكلني الدواب ، ولم أخلق مخافة العذاب وهول يوم الحساب ([٥٠]).

وعن زيد بن الأرقم ، قال : كان لأبى بكر الصديق رضى الله عنه مملوك يغل عليه فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة ، فقال له المملوك : مالك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة ؟ قال: حملني على ذلك الجوع ، من أين جئت بهذا ؟ قال : مررت بقوم فى الجاهلية فرقيت لهم فوعدوني ، فما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطوني ، قال : إن كدت أن تهلكني ، فأدخل يده فى حلقه فجعل يتقيأ ، وجعلت لا تخرج ، فقيل له : إن هذا لا تخرج إلا بالماء فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها ، فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة ، قال : لو لم تخرج إلا مع نفسى لأخرجتها ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كل جسد نبت من حرام فالنار أولى به ([٥١]) فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة. قال الأصفهاني _ رحمه الله _ قد قيل : إن التصوف السكون إلى اللهيب ، فى الحنين إلى الحبيب ([٥٢])

[٤٨] شعب الإيمان للبيهقي : ٧/ ٣٦٥ ، رقم ١٠٥٩٦.

[٤٩] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصفهاني : ١/ ٦٤ .

[٥٠] أخرجه بن سعد فى الطبقات الكبرى : ٣/ ١٩٨ ، ط دار صادر ، بيروت .

[٥١] شعب الإيمان للبيهقي : ٥ / ٦٥ ،رقم٥٧٥٩ .

[٥٢] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصفهاني : ١ / ٦٤ .

وهذه الرواية نسبت إلى سيدنا أبى بكر رضى الله عنه وأرضاه بعضاً من الصفات الروحية التى منها الجوع ، والتقوى ، والزهد ، والورع ، وتحرى الحلال ، وإرشادات النبي صلى الله عليه وسلم وتعاليمه ونصائحه ، وكل هذه الصفات تسمو بالنفس فتكون قريبة من ربها وعلى صلة قوية وعظيمة بمولاها وخالقها .

**عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأرضاه .**

ثاني القوم عمر الفاروق ، أعلن الله به دعوة الصادق المصدوق ، محتملاً لما احتمل الرسول ، ومصطبراً على المكاره لما يؤمل من الوصول ، ومفارقاً لمن اختار التنعيم والترفيه ، وكان للحق قائلاً ، وبالحق صائلاً ، وللأثقال حاملاً ، ولم يخف دون الله طائلاً ، وقد قيل : إن التصوف ركوب الصعب ، فى حلال الكرب ([٥٣]) .

قال الشيخ الأصفهاني رحمه الله : وكان عن فناء الملاذ منتهياً ، ولباقي المعاد مبتغياً يلازم المشقات ، ويفارق الشهوات . وقد قيل : أن التصوف حمل النفس على الشدائد الذى هو أشرف الموارد ([٥٤]) ، وكان رضى الله عنه وأرضاه لا يجمع بين إدامين ، وقدمت إليه حفصة رضى الله عنها مرقاً بارداً وصبت عليه زيتاً فقال : إدامان فى إناء واحد لا آكله حتى ألقى الله عز وجل ([٥٥]) .

وقال الطوسي _رحمه الله_ عن إقتداء الصوفية بعمر رضى الله عنه وأرضاه ما نصه : لأهل الحقائق أسوة وتعلق بعمر رضى الله عنه بمعاني اختص بها من اختياره لبس المرقع أو الخشونة وترك الشهوات ، واجتناب الشبهات ، وإظهار الكرامات وقلة المبالاة ، ومحق الباطل ومساواة الأقارب والأباعد فى الحقوق ، والتمسك بالأشد من الطاعات ([٥٦]) .

[٥٣] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصفهاني : ١ / ٧٣ بتصرف .

[٥٤] حلية الأولياء للأصفهاني : ١ / ٨٤ .

[٥٥] الطبقات الكبرى للشعراني ، ص ٣٠ ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .

[٥٦] اللمع للطوسي ، ص ١٧٤.

وكان رضى الله عنه من أزهد الناس فى الدنيا ورغبة فى الآخرة لذلك قال طلحة بن عبدالله : ما كان عمر بأولنا اسلاماً ولا بأقدمنا هجرة ، ولكنه كان أزهدنا فى الدنيا وأرغبنا فى الآخرة ([٥٧]). ومن مظاهر تزهد عمر وتمثل الحياة الروحية فيه ما ذكره أنس رضى الله عنه حين قال : تقرقر بطن عمر رضى الله عنه ، وكان يأكل الزيت عام الرمادة ، وكان قد حرم على نفسه السمن ، قال : فنقر بطنه بأصبعه وقال : تقرقر ما تقرقر إنه ليس لك عندنا حتى يحيا الناس ([٥٨]) .

وليس هناك أدل على تقشف عمر من أنه كان يخطب وهو خليفة المسلمين وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة ، وقميص فيه أربع رقاع دون أن يكون له غيرهما ، وليس أدل من أنه كان يغسل ثوبه بيده ، ومن أثر الرضا والصبر فى النفس الخاضع لهما الآخذ بهما مما كتبه إلى أبى موسى الأشعري وهو يقول : أما بعد : فإن الخير كله فى الرضا ، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر . ومن قوله : وجدنا خير عيشنا الصبر ([٥٩]) .

وعن الحسن أن عمر رضى الله عنه قال : والله إن لو شئت لكنت من أطيبكم طعاماً ، وألينكم لباساً ، وأرقكم عيشاً ، ولكنى سمعت الله عز وجل عير قوماً بأمر فعلوه فقال : {أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا } ([٦٠]) .

ويرى الصوفية أن ظهور الكرامات قد بلغت أعلى درجة على يد عمر ، ودلائل ذلك كما يقولون ظهرت لما كان يخطب فصاح فى وسط خطبته : يا سارية الجبل ، وسارية فى عسكر على باب نهاوند ([٦١]) فسمع صوت عمر رضى الله عنه عندئذ ، وأخذ نحو الجبل وظفر بالعدو وقيل : لسارية كيف علمت ذلك ؟ فقال:

---

[٥٧] الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري : ١ / ٢٠٠ .

[٥٨] حلية الأولياء للأصفهاني : ١ /٨٤ .

[٥٩] الحياة الروحية فى الإسلام ، د/ محمد مصطفى حلمي ، ص ٢٧ .

[٦٠] حلية الأولياء للأصفهاني : ١ /٨٥ ، والآية من سورة الأحقاف رقم: ٢٠ .

[٦١] مدينة بقرب همذان قديمة : قالوا إنها من بناء نوح عليه السلام .
انظر : آثار البلاد واخبار العباد للقزويني : ١ /١٩٢ ، المصدر : موقع الوراق .

سمعت صوت عمر رضى الله عنه ، يقول : يا سارية الجبل ([٦٢]) .

وقالت حفصة بنت عمر رضى الله عنه : يا أمير المؤمنين لو لبست ثوباً هو أحسن من ثوبك ، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك فقد وسع الله عز وجل من الرزق ، وأكثر من الخير ؟ فقال : إني سأخصمك إلى نفسك ، ما تذكرين ما كان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة العيش ، فما يذكرها حتى أبكاها ، فقال لها : والله إن قلت ذلك أما والله لئن استطعت لاشاركنها بمثل عيشها الشديد ، لعلى أدرك معهما عيشهما الرخي ([٦٣]) .

**عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه .**

لقد كان رضى الله عنه وأرضاه قدوة لأهل التصوف فى اكثر أموره وأحواله ، ففي مجاهداته لنفسه ، يروى عنه أنه حمل حزمة حطب من بعض بساتينه ، وكان له عدة مماليك ، فقيل له : لو دفعتها إلى بعض عبيدك ، فقال : إني قد استطعت ان أفعل ذلك ، فدل ذلك على أنه كان لا يدع مجاهدة نفسه ([٦٤]).

وكان رضى الله عنه يتصف بالزهد التقشف ، ودائم التفكير فى الله ، والدأب على النظر فى كتاب الله بحيث كان يقضى نهاره طاوياً وليله محيياً وبحيث لم يكن يترك النظر فى المصحف كل يوم وهو يقول : هذا كتاب ربى ولا بد للعبد إذا جاءه كتاب سيده أن ينظر فيه كل يوم ليعمل بما فيه وما فتىء فى كذلك حتى قتل والمصحف بين يديه ([٦٥]) .

وكان رضى الله عنه وأرضاه ممن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، غالب أحواله الحياء والكرم ، حظه من النهار الصيام والجود ، ومن الليل السجود والقيام ، وقد قيل : إن التصوف

[٦٢] الرياض النضرة فى مناقب العشرة : ٢ / ١١٠ .

[٦٣] حلية الأولياء للأصفهاني : ١ /٨٤، ٨٥ .

[٦٤] الرياض النضرة فى مناقب العشرة : ٢ /١١٠ .

[٦٥] الحياة الروحية فى الإسلام ، د/ محمد مصطفى ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

الإكباب على العمل ، تطرفاً إلى بلوغ الأمل ([٦٦]) ، ويروى عن زهده مع كثرة ماله أن الإنفاق كان أحب إليه من الإمساك فقد جهز جيش العسرة ، واشترى بئر رومة من يهودي كان يمنع المسلمين عنها ، حتى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا ([٦٧]) .

وقد بين عثمان رضى الله عنه وأرضاه أن للمال وظيفة اجتماعية ، فقال : لولا أنى خشيت أن يكون فى الإسلام ثلمة ( ثغرة ) أسدها بهذا المال ما جمعته ([٦٨]) .

قال الشيخ الأصفهاني كان رضى الله عنه مبشراً بالمحن والبلوى ، ومحفوظاً فيها من الجزع والشكوى ، يتحرر من الجزع والصبر ، ويتبرر فى المحن بالشكر . وقد قيل : إن التصوف الصبر على مرارة البلوى ، ليدرك به حلاوة النجوى ([٦٩]) .

وعن أحمد بن سنان قال : سمعت عبدالرحمن بن مهدى يقول : كان لعثمان شيئان ليس لأبى بكر ولا عمر مثلهما ، صبر على نفسه حتى قتل مظلوماً ، وجمع الناس على المصحف ، وكان بالمال إرضاء الله متوصلاً وببذله لعباده متنفلاً ، ولحظ نفسه منه متقللاً ، وقد قيل : إن التصوف ابتغاء الوسيلة إلى منتهى الفضيلة ([٧٠]) .

وقد تحدث صوفية الإسلام عن حادث مقتل سيدنا عثمان رضى الله عنه وارضاه فيقول الطوسي فى اللمع : ومما يدل على تخصيصه ، ولم يأذن لأحد بالقتال ، ولا وضع المصحف من حجره رضى الله عنه وأرضاه ،

---

[٦٦] حلية الاولياء ١ / ٩٢ ، ٩٣ .

[٦٧] سنن الترمذي : ٥ / ٦٢٦ ، رقم ٣٧٠١ .

[٦٨] الرياض النضرة فى المناقب العشرة : ٢ / ١١٠ .

[٦٩] حلية الأولياء : ١/ ٩٥ .

[٧٠] حلية الأولياء ١ / ٩٦ .

وسال الدم على المصحف ، وتلطخ بالدم ، ووقع الدم على موضع هذه الآية : {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } ([٧١]) ([٧٢]) .

وهكذا رأى الصوفية أن سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه كان متحققاً بالوصول إلى الله وبمقام التمكين الذى جعله ثابتاً لمجاري الأقدار لا يزعزعه شيء مما حوله . وقد روى عنه أقوالاً لها دلالة صوفية ، منها قوله : وجدت الخير مجموعاً فى أربعة : أولها : التحبب إلى الله بالنوافل ، والثاني : الصبر على الأحكام ، والثالث : الرضا بتقدير الله عز وجل ، والرابع : الحياء من نظر الله عز وجل ([٧٣]) .

**<u>على بن أبى طالب رضى الله عنه .</u>**

عند الحديث عن حياة سيدنا على الروحية نجد أنه كان خشناً فى ملبسه ، بل إنه كان يوصى عماله وهو أمير المؤمنين على التبليغ فى هذه الحياة بما قل من العيش والرفق بالرعية ، وكثيراً ما كان يكتب إليهم يدعوهم إلى التقشف لأن هذا التقشف هو طريق التنعم فى الآخرة ،وكان رضى الله عنه وأرضاه يأتي فى نهاية كل أسبوع إلى بيت المال فإن كان فيه مال قام بتوزيعه على الفقراء والمحتاجين دون ان يخص نفسه بشيء . وكان يقول : يا صفراء يا بيضاء غرى غيرى حتى ما بقى دينار ولا درهم ([٧٤]) .

وقد طلب سيدنا معاوية رضى الله عنه وأرضاه من أحد الناس أن يصف له على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه فكان ممن قاله : كان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا دعوناه ، ويرضينا إذا سألناه ، لا يطمع القوى فى باطل عنده ، ولا ييأس الضعيف من حق يناله على يده ، كان يأنس بالله ووحشته ، وكان يبكى فى محرابه

[٧١] سورة البقرة الآية : ١٣٧ .

[٧٢] اللمع للطوسي ، ص ١٧٨ .

[٧٣] مرجع سابق ، نفس الصفحة.

[٧٤] التصوف والصوفية فى ضوء النصوص الدينية والبراهين العقلية ، د/ محمد شلبي ، ص ٥٢ .

بكاء الحزين ويقول : يا دنيا غرى غيرى ، إلىَّ تعرضت أم إلىَّ تشوقت ، هيهات هيهات قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فنعيمك وعيشك قصير ، آه من قلة الزاد وطول السفر وحشة الطريق ([٧٥]) .

وكان رضى الله عنه وأرضاه صاحب القلب العقول ، واللسان السؤول ، والأذن الوعى ، والعهد الوافي ، فقاء عيون الفتن ، ووقى من فنون المحن ، فدفع الناكثين ، ووضع القاسطين ، ودمغ المارقين ، وقد قيل : إن التصوف مرامقة المودود ، ومصارمة المحدود ([٧٦]) .

ولأمير المؤمنين على رضى الله عنه وأرضاه خصوصية خص بها من بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعاني جليلة ، وإشارات لطيفة ، وخصال شريفة تعلق بها أهل الصوفية منها : لما سئل أمير المؤمنين رضى الله عنه وأرضاه وقيل له : بما عرفت ربك ؟ فقال : بما عرفني نفسه ، لا تشبهه صورة ، ولا يدرك بالحواس ، ولا يقال بالناس قريب فى بعده ، بعيد فى قربه ، فوق كل شىء ولا يقال شىء تحته ، وتحت كل شىء ولا يقال شىء فوقه ، أمام كل شىء ولا يقال شىء أمامه ، داخل فى الأشياء لا كشيء ولا من شىء ، ولا فى شىء ، ولا بشيء ، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره ([٧٧]) .

وكان من أقواله رضى الله عنه وأضاه : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ، ويعظم حلمك ، وأن تباهى الناس بعبادة ربك ، فإن أحسنت حمدت الله ، وإن أسأت استغفرت الله ، ولا خير فى الدنيا إلا لأحد رجلين ، رجل أذنب ذنباً فهو تدارك ذلك بتوبة ، أو رجل يسارع فى الخيرات ولا يقل عمل فى تقوى ، ولذلك قال الشيخ الأصفهاني _رحمه الله _ وقد ذكر بعض ما نقل عنه من التقلل والتزهد ، واشتهر به من الترهب والتعبد ، وقد قيل : إن التصوف السمو عن الأعراض ، بالسمو إلى الأغراض ([٧٨]) .

---

[٧٥] مرجع سابق ، نفس الصفحة .

[٧٦] حلية الأولياء للأصفهاني : ١/ ١٠٠ .

[٧٧] اللمع للطوسي ص ١٧٩ .

[٧٨] حلية الاولياء للأصفهاني : ١/ ١١٧ ، ١٢٢ .

وروى عنه رضى الله عنه أنه قال : الخير كله مجموع فى أربعة : الصمت والنطق والنظر والحركة ، فكل نطق لا يكون فى ذكر الله تعالى فهو لغو ، وكل صمت لا يكون فى فكر فهو سهو ، وكل نظر لا يكون فى عبرة فهو غفلة ، وكل حركة لا تكون فى تعبد فهي فترة ، فرحم الله عبدا جعل نطقه ذكراً وصمته فكراً ونظره عبرة وحركته معبداً ، ويسلم الناس من لسانه ويده ([٧٩]) .

وعن على بن الأرقم عن أبيه ، قال : رأيت علياَ وهو يبيع سيفاً له فى السوق ، ويقول : من يشترى منى هذا السيف فو الذي فلق الحبة لطالما كشف به الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته ([٨٠]) .

قال أبو عبيدة _رحمه الله _ : ارتحل الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه وله تسع كلمات ، ثلاث فى المناجاة ، وثلاث فى العلم ، وثلاث فى الأدب ، فأما التى فى المناجاة قوله : كفاني عزاً أن تكون لي رباً وكفى بي فخراً ان أكون لك عبداً أنت لي كما أحب فوفقني لما تحب ، واما التى فى العلم فهي قوله المرء مخبؤه تحت لسانه فتكلموا تعرفوا ، ما ضاع أمرؤ عرف قدره ، وأما التى فى الأدب فهي قوله أنعم على من شئت تكن أميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره ([٨١]) .

وقام رجل إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه وأرضاه وسأله عن الإيمان ، فقال : الإيمان على أربع دعائم على الصبر ، واليقين ، والعدل ، والجهاد ، ثم وصف الصبر على عشر مقامات ، وكذلك اليقين والعدل والجهاد . قال الطوسي _رحمه الله _ : إن صح ذلك فهو أول من تكلم فى الأحوال والمقامات ([٨٢]) .

---

[٧٩] اللمع للطوسي ١٨٢ .

[٨٠] حلية الأولياء للأصفهاني : ١ / ١٢٥ وما بعدها .

[٨١] الطبقات الكبرى للشعراني ص ،٣٢ .

[٨٢] اللمع للطوسي ، ص ١٨٠ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حقه : يا على إن الله تعالى قد زينك بزينة لم تزين العباد بزينة أحب إلى الله منها ، هي زينة الأبرار عند الله تعالى الزهد فى الدنيا فجعلك لم لا تذرأ من الدنيا شيئاً ولا تذرأ الدنيا منك شيئاً ، ووهب لك حب المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعاً ويرضون بك إماماً (٨٣) .

**الخاتمة :**

لقد أسفرت دراستنا لهذا البحث عن نتائج ، وهذه النتائج هي :-

**أولاً :** إن علم التصوف يمثل الحياة الروحية فى الإسلام ، إذ أن بداية الحياة الروحية في الإسلام تبدأ من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما كانوا يأخذون به أنفسهم من زهد في الدنيا واعراض عن زخرفها وجاهها وإقبال على الله بقلوبهم ، فالإسلام هو الذى أسس هذا العلم ومنه أخذت موضوعاته ، وعلى هذا فعلم التصوف ليس علماً جديداً في الإسلام ، وإنما هو أحد علومه الأصلية وجزء من الأجزاء التى يتألف منها التراث الديني والعقلي للإسلام .

**ثانياً :** إن الحياة الروحية التى كان يحياها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إذا حللناها إلى عناصرها التى تألفت منها ، ومعانيها التى انطوت عليها ، ووازنا بينها وبين الزهاد والعباد الذين ظهروا في صدر الإسلام من ناحية ، وبينها وبين حياة الصوفية الذين ظهروا بعد ذلك من ناحية أخرى ، رأينا أن التصوف هو الاسم الجامع لطوائف أولئك وهؤلاء وتعاليمهم ، وما يعمدون إليه من رياضيات ومجاهدات يرمون بها إلى تنقية النفس وتصفية القلب .

**ثالثاً :** أن علم التصوف مثل أي علم من العلوم ، فلم يبق على حالة واحدة فقط وإنما خضع للتطور والتأثير والتأثر ، فمصد التصوف عند أول تكوينه قد استمد اصوله من القرآن والسنة ، ومن أحوال الصحابة وأقوالهم ، وبهذا يكون المصدران الأساسيان للتصوف في الحقيقة هما القرآن والسنة ، وهذا ينتهى بنا إلى أن مذاهب الصوفية ترجع في أصلها إلى مصدر إسلامي ، إلا أنه بمرور الزمن وبحكم اتصال الأمم واحتكاك العقائد

---

[٨٣] كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي البرهاني ، ص ٥٣ ، تحقيق / بكرى حياني _ صفوة السقا ، ط مؤسسة الرسالة ، ط الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١ م ، وراجع حلية الأولياء : ١/ ١١٣ .

ظهر بعض المصطلحات التى لا تمت إلى التصوف بصلة ، وإنما هي مصطلحات دخيلة على التصوف ووليدة ثقافة غير إسلامية.

**رابعاً** : إن التصوف ليس هروباً من الحياة كما يقول أعدائه ، وإنما هو محاولة من الإنسان للتسلح بقيم روحية جديدة تعينه على مواجهه الحياة المادية ، وتحقق له التوازن النفسي حيث يواجه مصاعبها ومشاكلها .

**خامساً** : إن الحياة الروحية في الإسلام تجرى على سنن القصد الصالح في الحياة البشرية لا استغراق في مطالب الجسد ، ولا انقطاع عنه في سبيل الآخرة ، وإنما كانت قواماً بين هذا وذاك .

**المصادر والمراجع :**

١_ القرآن الكريم _ جل من أنزله .

٢_ كتب السنة المطهرة .

٣_ نظرات حول الإعداد الروحي الشهيد الشيخ حسن معن ، بدون .

٤_ دراسات في التصوف والأخلاق ، د./ إبراهيم محمد إبراهيم ، بدون .

٥_ التربية لعالم حائر ، سير ريتشر لفجستون ، ترجمة / وديع الضبع .

٦_ شعب الإيمان للبيهقي : تحقيق : محمد سعيد بسيوني زغلول ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٠م.

٧_ الوفاء بأحوال المصطفى للإمام أبى فرج الجوزي ، ط دار الكتب الحديثة ، ط أولى ١٣١٦هـ/ ١٩٦٦م .

٨_ الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ، ط القاهرة ١٣٢٧هـ .

٩_ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي البرهاني ، تحقيق / بكرى حياني ، صفوة السقا ، ط مؤسسة الرسالة ، ط الخامسة ١٤٠١هـ١٩٨١م.

١٠_ تلبيس إبليس لابن الجوزي ، ط دار الجبل ، بيروت .

١١_ المعجم الأوسط للطبراني ، تحقيق / طارق بن عوض الله بن محمد ، عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني ، ط دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥م .

١٢_ الأدب الصوفي في مفهوم جديد ، أ/ عبدالكريم الخطيب ، ط دار الثقافة العربية ١٣٨٤هـ /١٩٦٥م ، القاهرة .

١٣__ صفوة التصوف للمقدسي ، تحقيق / غادة المقدم عدرة ، ط دار المنتخب العربي ، لبنان ، بيروت ، ١٩٩٥م .

١٤_ فتح الباري في شرح صحيح البخاري _ لابن حجر العسقلاني _ طبعة دار الريان للتراث .

١٥_ اللمع لأبى نصر سراج الطوسي _ حققه وقدم له د/ عبدالحليم محمود ، وطه عبدالباقي سرور _ طبع دار الكتب الحديثة بمصر ١٣٨٠هـ ، ١٩٦٠ م .

١٦_ مدخل إلى التصوف الإسلامي د/ أبو الوفا التفتازاني _ طبع دار الثقافة للنشر والتوزيع _ الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م .

١٧_ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم الأصفهاني _ مطبعة السعادة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م .

١٨_ التصوف والصوفية في ضوء النصوص الدينية والبراهين العقلية ، د./ محمد شلبي ، ط الحرية ، ط أولى ٢٠٠٧م .

١٩_ تاريخ التصوف في الإسلام ، د./قاسم عفيفي ، ترجمة / صادق نشأت ، ط مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٧٢م .

٢٠__ سنن ابن ماجه ، تحقيق / محمد فؤاد عبدالباقي ، ط دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبى .

٢١_ الطبقات الكبرى للشعراني ، ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط الأولى ١٤١٨هـ١٩٩٧م .
٢٢_ الطبقات الكبرى لابن سعد ، ط دار صادر ، بيروت .

٢٣ _ فلسفة الحياة الروحية منابعها ومشاربها ونشأتها ونشأة التصوف والطرق الصوفية ، د./ مقداد يالجن ، ط دار الشروق ، ط الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٢٤ _ في التصوف الإسلامي وتاريخه ، ارنيولد .أ/ نيكولسون ، ترجمة د/ أبو العلا عفيفي ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٨هـ ، القاهرة .

٢٥ _ مسند أبو داود الطياليسي ، تحقيق : د./ محمد حسن التركي ، ط هجر الطباعة والنشر، مصر، ط أولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .

٢٦ _ إحياء علوم الدين _ أبو حامد الغزالي _ طبع دار الريان للتراث ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧ م .

٢٧ _ صحيح الإمام مسلم _ طبع دار الفكر .

٢٨ _ الحياة الروحية في الإسلام ، د/ مصطفى حلمي _ طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠م .

٢٩ _ الإمام الترمذي فى سننه : تحقيق: أحمد محمد شاكر واخرون ، ط مصطفى البابي الحلبى ، مصر ، ط الثانية ١٣٩٥هـ _ ١٩٧٥ م .

٣٠ _ [١] الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري ، ص ٢١٧ ، تحقيق د/ عبدالحليم محمود ، د/ محمود بن الشريف ، ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

٣١ _ عوارف المعارف السهروردي ، تحقيق : د/ عبدالحليم محمود ، د/ محمود الشريف : ٩٦/١ ط دار الكتب الحديثة بالقاهرة .